معالم القرآن والسنة
مجلة محكمة
السنة الخامسة، العدد السادس، ٢٠١٠

حسن محمد عبد العزيز

إعداد القوة الحربية الإسلامية وأثرها في تحقيق السلم في العصر الحديث

Abstract

This paper deals with the issue of Islamic military power and its role in achieving peace in the present day world. Specifically, the verse on the concept of military preparation by the Muslims as contained in *surah* al-Anfal is focused for discussion. This is followed by analyzing the embodiment of this Quranic concept by the Prophet during his lifetime and refutation against those who accused Islam as a religion of terror. As a matter of fact, Islam is a religion of love, peace and mercy as can be testified from history. Other issues discussed here include Islamic methods for achieving peace, Islamic justice in treaties as well as Islamic values for using power. Muslims military capacity building functions not only for defense, but more importantly, as a means to spread the message of Islam to the whole world.

مقدمـــــــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل الله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾[١]
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[٢]
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[٣]. [٤]

"ثم أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة" [٥]

وبعد : فقد أرسل الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل ففتح به أعيناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً, وأنزل عليه كتاباً : ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[٦].

وضمن للبشرية السعادة والهناء ما تمسكت بهذا الكتاب وسارت على نهجه: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنْ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا ﴾[٧] وقد أيقن المسلمون الأوائل أنه لا شرف إلا والقرآن سبيل إليه, ولا خير إلا وفي آياته دليل عليه فهرعوا إليه قراءة لآياته وتدبراً لكلماته واستهداءً بهديه وسيراً على نهجه.

---

١ – سورة آل عمران : ١٠٢.

٢ – سورة النساء : ١.

٣ – سورة الأحزاب : ٧٠-٧١.

٤ – هذه هي خطبة الحاجة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمها أصحابه أن يقولوها بين يدي كلامهم سواء أكان خطبة نكاح أو جمعة أو غير ذلك، وقد أخرجها : ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني، في كتاب النكاح، باب خطبة النكاح، الناشر: دار الفكر بيروتتحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، ١/ ٦٠٩ – ٦١٠، بدن تاريخ، والدارمي : عبد الله بن عبد الرحمن، السنن، في كتاب النكاح باب في خطبة النكاح، الناشر : دار الكتاب العربي، بيروت، ط١ (١٤٠٧) هـ-١٤٢/٢.

٥ – جزء من حديث أخرجه : النيسابوري : مسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الجمعة، وبوب عليه النووي : باب خطبته صلى الله عليه وسلم في الجمعة، طبعة المطبعة المصرية ومكتبتها، ١٥٣/٦ بشرح النووي. بدون تاريخ.

٦ – سورة المائدة : ١٦.

٧ – سورة الإسراء : ٨٢.

وقد عمل المسلمون الأوائل بما تدل عليه نصوص الكتاب الكريم، ومنها أن فرض الجهاد ماض في الأمة إلى يوم القيامة لا يبطله عادل عادل ولا جور ظالم، وكيف لا وقد أخبرهم من لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم أن الجنة تحت ظلال السيوف، وأن رزق المجاهد تحت ظل رمحه، وأن غدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها، وأن العين التي باتت تحرس في سبيل الله لا تمسها النار أبداً.

من أجل ذلك فتحوا الأقاليم، ونشروا الإسلام والسلام في ربوع العالم أجمع، وسادوا الدنيا وقادوا الأمم في شتى المجالات.

ومضى هؤلاء السلف، وخلف من بعدهم خلف ركنوا إلى الحياة الدنيا ورضوا بها من الآخرة وتخلفوا عن تحقيق فرض الجهاد إلا من رحم ربك؛ فعادوا إلى ذيل القافلة مرة أخرى لأن الله تعالى جلت حكمته لا ينصر إلا من ينصر دينه ويطبق أحكام شرعه ويحقق معنى الجهاد والاستعداد له قدر الوسع والطاقة كما قال سبحانه : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾[٨]

إن معنى الاستعداد للحرب الذي تدل عليه هذه الآية الكريمة ليكفل تحقيق الأمن والسلم في المجتمعات، فإن العدو إذا علم أن هناك قوة إسلامية تحقق الأهداف المرجوة من إعدادها في الإسلام فإنه لا يفكر أبداً في العدوان على ديار المسلمين أو استباحة بيضتهم.

ومن هنا كانت فكرة هذا البحث الذي أتكلم فيه عن معنى آية الاستعداد التي ذكرتها آنفاً من سورة الأنفال، وكيف تحقق هذه القوة السلام والأمن في العصر الحديث؟ وما هي نصوص الشرع من القرآن والسنة التي تدل على ذلك؟.

---

٨ - سورة الأنفال : ٦٠.

خطة البحث

يتكون هذا البحث من مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة , على النحو التالي :

المبحث الأول : من هدي القرآن الكريم في وجوب الاستعداد بالقوة الحربية لإخافة الأعداء :

شرح آية الاستعداد من سور ة الأنفال وبيان بعض الأمور التي تتعلق بها :

المطلب الأول : في وجوب الاستعداد للجهاد.

المطلب الثاني : في بيان المقصود بالقوة في قوله عز وجل "من قوة".

المطلب الثالث : في بيان المقصود بقوله تعالى "تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ..." والرد على من يدعي أن الإسلام دين الإرهاب مستدلاً بهذه الآية.

المطلب الرابع : في بيان المقصود بقوله تعالى : ﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ.. ﴾

المبحث الثاني : التطبيق النبوي للتوجيه القرآني في استخدام القوة العسكرية.

المبحث الثالث : من منهج السلم في الإسلام.

المبحث الرابع : عدل الإسلام المطلق في المعاهدات والمصالحات.

المبحث الخامس : العسكرية الإسلامية: خصائص ومباديء وأخلاقيات.

ثم الخاتمة ونتائج البحث وتوصياته, والله من وراء القصد.

المبحث الأول : من هدي القرآن الكريم في وجوب الاستعداد بالقوة الحربية لإخافة الأعداء.

قال الله تعالى :

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ

مِنْ دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ ﴾[٩]

شرح آية الاستعداد هذه من سور ة الأنفال وبيان بعض الأمور التي تتعلق بها

تقدم في سورة الأنفال الحديث عن نقض العهد في الآيات السابقة لهذه الآية، ونقض العهد مظنة الحرب، فأمر الله تعالى بإعداد العدة للقتال وإرهاب الأعداء، فالعدو إذا لم يُغز غَزا، وقد تحدثت سور الأنفال عن غزوة بدر ولم يكن للمسلمين فيها استعداد تام للحرب فنبههم الله تعالى بهذه الآية على أن النصر من غير استعداد لا يتأتى في كل زمان، فأمرهم بإعداد القوة الحربية.

وقوله تعالى : ﴿ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوّةٍ ﴾ معناه ما تقدرون عليه من أي قوة كانت، وجاءت "من" لبيان أنه على المؤمنين أن يعدوا لأعدائهم ما يقدرون عليه وما يدخل تحت استطاعتهم من القوة حتى ولو كانت قليلة, فإن القوة تشمل كل ما يتقوى به على القتال، وقد فسرت في الحديث بالرمي على سبيل الاهتمام بالرمي أكثر من غيره.

وقد بينت الآية الهدف من إعداد هذه القوة فقالت : ﴿ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوّ اللّهِ وَعَدُوّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾

وثمة أمور مهمة تتعلق بهذه الآية ينبغي بيانها، يجمل الحديث عنها في نقاط محددة كما يلي :

المطلب الأول : في وجوب الاستعداد للجهاد

أمر الله تعالى بإعداد القوة للجهاد، ولو شاء سبحانه لهزمهم بالكلام أو بحفنة من تراب كما فعل رسول الله صلى الله عيه وسلم يوم بدر, ولكنه أراد سبحانه أن يعلّم

---

٩ - سورة الأنفال : ٦٠.

عباده ربط المسببات بأسبابها وابتلاء بعض الناس ببعض ليعظم الأجر لأوليائه، فأمر بإعداد القوة الحربية وتعلم فنون القتال وفقه الغزو، ووعد على الصبر والتقوى بجميل الثواب.

يقول الإمام الرازي : هذه الآية تدل على أن الاستعداد بالنبل والسلاح وتعليم الفروسية والرمي فريضة، إلا أنه من فروض الكفايات أ.هـ [١٠] وقد يتعين، فدلت الآية على وجوب الإعداد أتقاء بأس العدو وهجومه، وذلك في الجهاد الذي هو ماض في الأمة إلى يوم القيامة، ومن هنا يحرم على الأمة الإسلامية أن تتوقف عن الإعداد والاستعداد.

ويدل على ذلك قوله تعالى في الآية : ﴿ وَأَعِدُّوا ﴾ فهو أمر، والأمر يقتضي الوجوب ما لم ترد قرينة تصرفه ولا قرينة هنا، بل النصوص الأخرى تؤكد الوجوب.

كما ينبغي أن يوجه الإعداد ويسدد السلاح إلى صدور الأعداء للتنكيل بهم وإخافتهم لا أن يخزن السلاح ويوجه لإذلال الشعوب وقهرها وظلمها وكتم أنفاسها، كما يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ ﴾.

والإعداد ليس محصوراً في صورة واحدة بل له صور كثيرة متعددة فهو يستوعب كل صور الإعداد المادية والمعنوية والفكرية والسياسية والاقتصادية وغيرها لأن ﴿ مَا ﴾ اسم موصول وهو من ألفاظ العموم والصفة من صيغ العموم فتشمل كل صور الإعداد المعروفة في الماضي والموجودة في الوقت الحاضر وكذا المجهولة وتظهر في المستقبل.

(ولما عمل الأمراء بمقتضى هذه الآية أيام قوة الإسلام كان الإسلام عزيزاً كريماً أبيّ الضيم قوي القنا جليل الجاه وفير السنا إذ نشر لواء سلطته على منبسط الأرض فقبض على ناصية الأقطار وعاش بنوه وهم سادة الأمم أحقاباً متتالية.

---

١٠ – الرازي : فخر الدين، محمد بن عمر بن الحسين، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، (١٩٨١)، ١٥/ ٨٥.

وأما اليوم فقد ترك المسلمون العمل بهذه الآية الكريمة ومالوا إلى النعيم والترف، فأهملوا فرضاً من فروض الكفاية، ولذا تعاني اليوم من غصته ما تعاني، وكيف لا يطمع العدو بالممالك الإسلامية ولا ترى فيها معامل للأسلحة وذخائر الحرب؟ بل كلها مما يشترى من بلاد العدو ؟ أما آن لها أن تنتبه من غفلتها وتنشيء معامل لصنع البنادق والمدافع والقذائف وغيرها قبل أن يداهم العدوبلادهاويستبيح بيضتها ؟ نسأل الله الهداية).[١١]

(إنه لابد للإسلام من قوة ينطلق بها في الأرض لتحرير الإنسان، وأول ما تصنعه هذه القوة في حقل الدعوة :

أولاً : أن تؤمّن الذين يختارون هذه العقيدة على حريتهم في اختيارها فلا يصدوا عنها ولا يفتنوا كذلك بعد اعتناقها.

ثانياً : أن ترهب أعداء هذا الدين فلا يفكروا في الاعتداء على دار الإسلام التي تحميها هذه القوة.

ثالثاً : أن يبلغ الرعب بهؤلاء الأعداء ألا يفكروا في الوقوف في وجه المد الإسلامي وهو ينطلق لتحرير الإنسانلا كله في الأرض كلها.

رابعاً : أن تحطم هذه القوة كل قوة في الأرض تتخذ لنفسها صفة الألوهية فتحكم الناس بشرائعها هي وسلطانها، ولا تعترف بأن الألوهية لله تعالى وحده، ومن ثم فالحاكمية له وحده سبحانه).[١٢]

ولما كان إعداد العدة الحربية يقتضي أموالاً اقترنت الدعوة إلي الجهاد في سبيل الله تعالى بالدعوة إلي الإنفاق، فإن ترك النفقة في سبيل الله تعالى إلقاء بالنفس إلي التهلكة لذلك قال سبحانه : ﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ

---

١١ – أبوفارس : محمد عبد القادر, تفسير سورة الأنفال، مكتبة المنار – الأردن (١٩٩١) ص١٢٤، بتصرف.

١٢ – قطب : سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، بدون تاريخ، ٣ / ١٥٤٣ بتصرف.

تُظْلَمُونَ ﴾ فكل ما يبذله المؤمنون في الجهاد أو في أي باب من أبواب البر والطاعة والتقرب إلي الله تعالى لن يضيع, بل يعوضهم الله تعالى عنه في الدنيا ويؤجرهم عليه في الآخرة، قال عز وجل : ﴿ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[١٣]

الهدف من إعداد القوة العسكرية الإسلامية

(وكما هو واضح من الآية الكريمة أن الهدف من القوة العسكرية هو زرع الخوف والرهبة في قلوب الأعداء، وبالتالي إجبارهم على عدم التفكير في استخدام الأداة العسكرية في الصراع بينهم وبين المسلمين، وهذا هو جوهر النظرية التي عرفت في عصرنا الحاضر بنظرية الردع النووي, وهي االنظرية التي عرفها العالم في منتصف القرن العشرين وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وظهور أسلحة التدمير الشامل، والتي تختلف عن الأسلحة التقليدية بقدرتها التدميرية الهائلة، وقد اعتبر الخبراء العسكريون أن السباق بين الدول الكبرى على امتلاك الأسلحة النووية والذرية هو الضمان الوحيد لعدم نشوب حرب عالمية ثالثة تستخدم فيها تلك الأسلحة، وعلى أساس أن البادئ بالضربة الأولى سوف يعاني من رد الفعل في الضربة الثانية، وهكذا، فإعداد القوة التدميرية هنا من قبيل كل طرف إنما هو لإرهاب الطرف الآخر ومنعه من استخدام هذه القوة.

وقد سبق القرآن هذه النظرية التي توصل إليها الخبراء في العصر الحديث عندما أصبحت البشرية كلها مهددة بالفناء، أما التوجيهات القرآنية فقد جاءت شاملة كاملة تنادي بالردع والرهبة من خلال جميع أنواع الأسلحة التي تستخدمها القوة العسكرية في صراعها مع الغير.[١٤]

---

١٣ – سورة البقرة : ١٩٥.

١٤ – كمال : مصطفى أحمد، العسكرية في القرآن الكريم، ط دار الفكر العربي، القاهرة (١٩٩٨) ص١٤ باختصار وتصرف.

المطلب الثاني في بيان المقصود بالقوة في قوله عز وجل "من قوة"

فسر النبي صلى الله عليه وسلم القوة بالرمي؛ فقد أخرج الإمام مسلم من حديث عقبة بن عامر رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو على المنبر : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ ألا إن القوة الرمي, ألا إن القوة الرمي"[١٥].

وفسرها حبر الأمة وترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما بأنواع الأسلحة، وفسرها تلميذه عكرمه : بالحصون والمعاقل.

والأولى أن يقال : هذا عام في كل ما يتقوى به على حرب العدو وكل ما هو آلة للغزو والقتال فهو من جملة القوة، والحديث لا ينفي كون غير الرمي معتبراً.[١٦]

فيجب بذل أقصى ما في الوسع والطاقة واستفراغ الجهد في الحصول على جميع أسباب القوة وأنواعها أبتداءً بالكلمة وانتهاءً إلى أقوى الأسلحة تدميراً كالطائرات والمدافه والصواريخ، وغير ذلك من الوسائل الحربية المستحدثة.

إن الإسلام لا يرضى لمعتنقيه إلا أن يكونوا أقوياء حتى يمكنهم ذلك من المحافظة على حقوقهم فلا يطمع فيهم عدو، ورحم الله من قال : القوة أضمن طريق لإحقاق الحق، فما أجمل أن تسير القوة والحق جنباً إلى جنب، والحق بدون قوة تحميه ضائع، والقوة بلا حق ظلم وعدوان، وقد حرم الله تعالى الظلم بكل صوره.

ومهما اخترع الناس حديثاً من أسلحة فتاكة يبقى الرمي أعظمها تصديقاً لكلام المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم، فكل سلاح يحتاج إلى الرمي ليكون فعالاً.

---

١٥ - مسلم، الجامع الصحيح، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه وذم من تعلمه ثم نسيه، ١٣/ ٦٤.

١٦ - الرازي : فخر الدين، مفاتيح الغيب، ١٥ / ١٨٥.

ولذلك مدح النبي صلى الله عليه وسلم الرمي وأمر به في غير ما حديث، فقد روى الترمذي وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة في الجنة : صانعه يحتسب في صنعته الخير، والرامي به، والممد به، وقال: ارموا واركبوا ولئن ترموا أحب إليّ من أن تركبوا، كل ما يلهو به الرجل المسلم باطل إلا رميه بقوسه وتأديبه فرسه وملاعبته أهله فإنهن من الحق "قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح. [١٧]

وفضل الرمي عظيم ومنفعته للمسلمين كبيرة ونكايته على الكافرين شديدة؛ فقد أخرج البخاري من حديث سلمة ابن الأكوع رضي الله عنه قال : مر النبي صلى الله عليه وسلم على نفر من أسلم ينتضلون، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أرموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً، وأنا مع بني فلان، قال : فأمسك أحد الفريقين بأيديهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما لكم لا ترمون؟ قالوا : كيف نرمي وأنت معهم؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أرموا فأنا معكم كلكم. [١٨]

وعن علي رضي الله عنه قال : ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يفدي رجلاً بعد سعد يقول : أرم فداك أبي وأمي" [١٩].

وسلاح كل عصر ورميه حسب ما يناسبه ويوافقه : يقول الإمام الآلوسي: وأنت تعلم أن الرمي بالنبال اليوم لا يصيب هدف القصد من العدو فإنهم استعملوا الرمي بالبندق والمدافع ولا يكاد ينفع معهما نبل وإذا لم نقابله بالمثل عم الداء العضال واشتد الوبال والنكال وملك البسيطة أهل الكفر والضلال، فالذي أراه والعلم عند الله تعالى تعين

---

١٧ – الترمذي : أبو عيسى، السنن، كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء من فضل الرمي في سبيل الله، دار إحياء التراث العربي بيروت، بدون تاريخ، ٤/ ١٧٤.

١٨ – البخاري : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل, الصحيح، كتاب الجهاد والسير باب التحريض على الرمي، ط الريان (بدون تاريخ) ٦/ ١٩١بشرح فتح الباري.

١٩ – البخاري : الصحيح، كتاب الجهاد والسير باب المجن ومن يترس بترس صاحبه، ٦/ ٩٣-٩٤.

تلك المقابلة على أئمة المسلمين وحماة الدين، ولعل فضل ذلك الرمي يثبت لهذا الرمي لقيامه مقامه في الذب عن بيضة الإسلام، ولا أرى ما فيه من النار للضرورة الداعية إليه إلا سبباً للفوز بالجنة إن شاء الله تعالى، ولا يبعد دخول هذا الرمي في عموم قوله سبحانه: "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة" أهـ [٢٠].

مهمة الخيل في الحرب وسبب ذكرها في الآية :

وذكرت الآية الخيل مع أنها صورة من صور إعداد القوة المأمور بها أهتماماً برباط الخيل إذ كانت في ذلك الوقت أقوى سلاح تحمى به الثغور.

(وقد كانت الخيل وسيلة سريعة لنقل البريد والأخبار من الثغور إلى العواصم، ومن أجل هذا عظم الشارع امرها، وأمر بإكرامها، ولا يزال للفرسان نصيب كبير في الحرب في ذلك العصر الذي ارتقت فيه الفنون العسكرية في الدول الحربية، إذ تصل الخيل إلى ما لا تصل إليه كثير من الوسائل الحديثة). [٢١]

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم ما في الخيل من فضائل عندما قال "الخيل معقود في نواصيها الخير إلي يوم القيامة، الأجر والمغنم" [٢٢]

وقال صلى الله عليه وسلم أيضاً : من احتبس فرساً في سبيل الله إيماناً بالله وتصديقاً بوعده فإن شبعه وريّه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة" [٢٣]

كما حث النبي صلى الله عليه وسلم على ارتباط الخيل في سبيل الله تعالى بإزاء العدو فقال : تسموا بأسماء الأنبياء، وأحب الأسماء إلى الله عزوجل : عبد الله وعبد

---

٢٠ – الآلوسي : محمود البغدادي، روح المعاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (بدون تاريخ) ٢٥/١٠.

٢١ – المراغي : أحمد مصطفى، تفسير المراغي، ط مصطفى الحلبي, القاهرة (١٩٧٥) ١٠ / ٢٥.

٢٢ – أخرجه البخاري فى كتاب الجهاد ٦ / ٥٦، ومسلم في الإمارة باب فضيلة الخيل وأن الخير معقود بنواصيها ١٧/١٣.

٢٣ – أخرجه البخاري, الصحيح, في كتاب الجهاد، باب مَنِ احْتَبَسَ فَرَسًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ﴾ ٥٧/٦.

الرحمن، وارتبطوا الخيل وامسحوا بنواصيها وأكفالها وقلدوها ولا تقلدوها الأوتار، وعليكم بكل كميّت أغر محجّل، أو أشقر أغر محجل، أو أدهم أغر محجّل" [٢٤]

(وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث : ولا تقلدوها الأوتار" : المقصود طلب الإعداد لإعلاء الدين، أي أجعلوا ذلك لازماً لها كلزوم القلائد للأعناق ولا تقلدوها طلب دماء الجاهلية أي : أقصدوا بها الخير لا الشر.

وكميّت بالتصغير : هو الذي لونه بين السواد والحمرة يستوي فيه المذكر والمؤنث، والأغرّ : الذي في وجهه غرّة أي بياض، والمحجّل : الذي في قوائمه بياض، والشقر: الحمر الخالصة، والأدهم : الأسود). [٢٥]

يقول القرطبي : ورباط الخيل فضل عظيم ومنزلة شريفة، وكان لعروة البارقي سبعون فرساً معدة للجهاد، وخص الرمي والخيل بالذكر في الآية؛ لأن الخيل أصل الحروب وأوزارها ــ أي أثقالها ــ التي عقد الخير في نواصيها، وهي أقوى القوة وأشد العدة وحصون الفرسان وبها يصال في الميدان، فخصها بالذكر تشريفاً وأقسم بغبارها تكريماً فقال : ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴾[٢٦].

ولما كانت السهام من أنجع ما يتعاطى في الحروب والنكاية في العدو وأقربها تناولاً للأرواح خصها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذكر لها والتنبيه عليها.أ.هـ[٢٧].

---

٢٤ – أخرجه أبو داوود في كتاب الجهاد, باب فيما يستحب من ألوان الخيل، الناشر : دار الفكر٢/٢٩، والنسائي في كتاب الخيل باب ما يستحب من شية الخيل الناشر : مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب الطبعة الثانية، ١٤٠٦ – ١٩٨٦ ٥٢٧/٦ – ٥٢٨ وهذا لفظ النسائي.

٢٥ – السندي : نور الدين بن عبدالهادي، حاشية السندي على سنن النسائي الناشر : مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب الطبعة الثانية، ١٤٠٦ – ١٩٨٦تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة. ٢١٨/٦-٢١٩ باختصار.

٢٦ – سورة العاديات : ١.

٢٧ – القرطبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، (بدون تاريخ) ٨ / ٣٦-٣٧ باختصار وتصرف.

وعن أنس رضي الله عنه قال : لم يكن شيء أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد النساء من الخيل. [٢٨]

والأحاديث في فضل ارتباط الخيل كثيرة, يقول الإمام أبو حيان : ويحصل بهذا الارتباط والإرهاب فوائد منها : أنهم لا يقصدون دخول دار الإسلام، وباشتداد الخوف قد يلتزمون الجزية أو يسلمون أو لا يعينون سائر الكفار.أ.هـ [٢٩] أو يكون ذلك سبباً لمزيد الزينة في دار الإسلام. [٣٠] قال الله تعالى : ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾[٣١]

وقد أقسم الله تعالى بالخيل في قوله : ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا. فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا. فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا. فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا. فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴾[٣٢]، ويفهم من هذه النصوص وجوب الاهتمام بكل وسائل الإغارة على الأعداء من صواريخ وطائرات وقنابل وغير ذلك من الأسلحة المخترعة حديثاً.

ومن الملاحظ أن كلمة (قوة) فى الآية جاءت نكرة وهي من الألفاظ المطلقة، فلم تقيد بوصف فبقيت على إطلاقها لتشمل جميع أنواع القوة التي يمكن الحصول عليها.

(والتوجيهات القرآنية في استخدام الأداة العسكرية في العصر الحديث؛ يمكن توضيحها من خلال أن الفكر البشري توصّل لنظرية الردع النووي عندما وجد أن الطاقة التدميرية لأسلحة التدمير الشامل تهدد الكرة الأرضية بأكملها، وأن زرع الخوف والرهبة لدى كل طرف من أطراف النادي النووي هو السبيل الوحيد لضمان عدم استخدام هذا السلاح.

---

٢٨ – أخرجه النسائي في كتاب الخيل باب : حب الخيل ٦/ ٥٢٧.

٢٩ – الأندلسي : أبو حيان عبد الله بن محمد بن يوسف، البحر المحيط، مطبعة ومكتبة النصر الحديثة الرياض، ٥١٢/٤ بدون تاريخ.

٣٠ – الفخر الرازي : محمد بن عمر بن الحسين، مفاتيح الغيب، ١٥/ ١٨٦.

٣١ – سورة النحل : ٨.

٣٢ – سورة العاديات : ١– ٥.

أما التناول القرآني لذلك فقد اتسم بالشمول حيث ينادي بإعداد القوة بجميع أشكالها سواء كانت تقليدية أو نووية من أجل زرع الخوف والرهبة في قلوب الأعداء وضمان عدم البدء باستخدام الأداة العسكرية في أي صراع.

ويلاحظ أن التناول القرآني يحمل في طياته دعوة ضمنية أو غير مباشرة للسلام، فالردع هنا يهدف أساسا إلى منع الحرب بعكس الفكر البشري الذي توصل إلى نظرية الردع من أجل منع استخدام أسلحة معينة فقط وهي أسلحة التدمير الشامل).[٣٣]

المطلب الثالث : في بيان المقصود بقوله تعالى "تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ..." الآية

في هذه الآية الكريمة إشارة إلى الابتعاد عن كون إعداد القوة لغير إرهاب الأعداء, وهي كما قلنا دعوة ضمنية لتحقيق السلام، فلا يكون إعداد القوة للفخر أو الخيلاء أو الاعتداء على الدول أو إذلال الشعوب وقهرها لأن الآية حددت بدقة الهدف من إعداد هذه القوة في الإسلام.

الرد على من يدعي أن الإسلام دين الإرهاب مستدلاً بهذه الآية :

إن مصطلح الإرهاب بمعنى القتل العشوائى والتدمير والتخريب وترويع الآمنين الذى يمارس من خلال أفراد أو منظمات جماعية أو دولية لا مكان له فى الإسلام، كما يدعى المغرضون من أعداء الإسلام.

وهذا المصطلح وذلك المعنى لا يوجد فى الإسلام، والحقيقة بنت البحث، فما كان الإسلام فى أى عصر من العصور ولن يكون دين الإرهاب لا بالممارسة ولا بالدعوة إليه، ولا بالتأصيل له فى الأصلين الشريفين : القرآن والسنة.

---

٣٣ – كمال : مصطفى أحمد، العسكرية في القرآن الكريم، ص١٨ باختصار وتصرف.

وقد جاءت مادة هذه الكلمة "رهب" وما اشتق منها فى القرآن فى اثنى عشر موضعاً بصيغة الماضى والمضارع والأمر والمصدر، وتدور فى كل المواضع حول معنى واحد وهو : المخافة من شيء، الأمر الذى حدى بالراغب الأصفهانى أن يقول فى مفرداته : الرّهْبة، والرّهَب، مخافة مع تحرز واضطراب.

وأغلب المواضع التى استعمل فيها القرآن (الرهبة) كان فى الخوف من الله تعالى وفى موضع واحد من سورة الأنفال يستعمل القرآن كلمة "ترهبون" التى قد يتأولها البعض على وجه يفهم منه معنى قريباً من المعانى التى ألبست لهذه الكلمة، قال تعالى : ﴿ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾.

والآية كما هو واضح من سياقها تأمر بإعداد العدة من السلاح ونحوه لتخويف الكفار والمنافقين الذين نخاف خيانتهم وغدرهم ونقضهم العهود، فالغرض الأول من إعداد القوة فى الإسلام هو إخافة الأعداء ظاهراً وباطناً,والغرض الثاني لا يقل أهمية عن الأول وهو حتى يشهد الناس أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله كما أمر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم.

فالمسلمون مكلفون بأن يكونوا أقوياء، وأن يحشدوا ما فى وسعهم وطاقتهم من أسباب القوة ليكونوا مرهوبين فى الأرض، فالمعنى الوارد فى الآية خلاف المعنى الذى يقصده المغرضون من العدوان أو الحرب، لأن إعداد القوة الحربية فى الإسلام وسيلة لمنع الحرب لا للحرب، وهو ما يسمى فى العصر الحديث : نظرية الردع وهى مفتاح الاستراتيجية المعاصرة التى وصل إليها الفكر العسكرى العالمى بعد أن اكتوى بنار الحرب لسنين طويلة.[٣٥]

---

٣٤ – الأصفهاني : أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب، المفردات، دار المعرفة، بيروت، ص٣٦٦ــ ٣٦٧. بدون تاريخ.

٣٥ – راجع فى شرح هذه النظرية : اللواء الركن محفوظ : محمد جمال الدين، العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية ص٩٨ وما بعدها. بدون طبعة أو تاريخ.

وفى أحاديث النبى ﷺ نجد أن مادة {رهب} جاءت فى أكثر من عشرين موضعاً بصيغة الماضى المجرد والمزيد، ومعانى أخرى ليس منها ما يرمى إليه المغرضون كحديث : لا يمنعن أحدكم رهبة الناس أن يقول بحق إذا رآه أو شهده" [٣٦] فليس فى الأحاديث أى إشارة إلى شيء من المعانى التى يلبسها الناس اليوم لهذه الكلمة "الإرهاب" والتى لا نجد لها أى ذكر فى القرآن ولا فى الأحاديث الصحيحة أو غير الصحيحة.

كما أن كتب اللغة تكاد تخلو من هذه الصيغة التى لم تدرج على الألسنة إلا فى العصر الحديث، بل يرى الدكتور : اللويحق أن هذا المصطلح منقول عن الثقافة الغربية ويرجع تاريخ استعماله عندهم إلى نهايات القرن السابع عشر.[٣٧]

فالربط بين الإسلام وما يحدث من إفساد فى الأرض ربط خاطىء بلا شك، فلا يعقل في الإسلام -الذى جعل فى كتابه الخالد حداً وعقوبة للإفساد فى الأرض- أن يأمر متبعيه بالإرهاب أو إخافة الآخرين وتدمير ممتلكاتهم.

أخرج البخارى فى صحيحه عن ابن عمر ﷺ عن النبى ﷺ قال : "دخلت امرأة النار فى هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض" [٣٨].

فكيف يعذب الله تعالى هذه المرأة التى عذبت الهرة، ولا يعذب ذلك الذى يروع الآمنين ويقتل الأبرياء من الناس؟.

بل رهبت الأحاديث من مجرد الإشارة بالسلاح إلى المسلم دون قصد فكيف بمن أشار بالسلاح عمداً أو استعمله ضد الآمنين وارتكب القتل العمد؟.

---

٣٦ - أخرجه : الشيباني، الإمام أحمدبن حنبل فى المسند ٣ /٥٠، الناشر : مؤسسة قرطبة - القاهرة بدون تاريخ، وقال شعيب الأرنؤوط : حديث صحيح، والهيثمى فى مجمع الزوائد ٧/ ٥٢٤، وقال : رواه الطبرانى فى الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير شيخ الطبرانى.

٣٧ - اللويحق : (عبد الرحمن) الإرهاب والغلو : دراسة فى المصطلحات والمفاهيم ص٣١، بدون تاريخ أو طبعة.

٣٨ - أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق برقم (٣١٤٠) ومسلم فى البر والصلة والآداب برقم (٢٢٤٢).

أخرج البخارى فى الصحيح من حديث أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال : "لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح فإنه لا يدرى لعل الشيطان ينزع فى يده فيقع فى حفرة من النار" [٣٩]، يقول الحافظ ابن حجر فى شرحه لهذا الحديث : هو كناية عن وقوعه فى المعصية التى تفضى به إلى دخول النار, قال ابن بطال : معناه أنفذ عليه الوعيد, وفى الحديث النهى عما يفضى إلى المحذور وإن لم يكن المحذور محققاً كان ذلك فى جد أو هزل وقد وقع فى حديث أبى هريرة عند ابن أبى شيبة وغيره مرفوعاً : والملائكة تلعن أحدكم إذا أشار إلى الآخر بحديدة وإن كان أخاه لأبيه وأمه, قال ابن العربى : إذا استحق الذى يشير بالحديدة اللعن فكيف الذى يصيب بها ؟ وإنما يستحق اللعن إذا كانت إشارته تهديداً سواء كان جاداً أم لاعباً، وإنما أوخذ اللاعب لما أدخله على أخيه من الر وع، ولا يخفى أن إثم الهازل دون إثم الجاد.[٤٠]

فالإسلام دين الرحمة وشريعة السلام يدعو إلى التعايش السلمي وإلى صون الحق الإنساني، وحسن العلاقات مع الآخرين لأن هؤلاء جميعاً مدعوون إلى الإسلام والسلام، ولا شك أن في الجهاد الذي شرعه الإسلام قمعاً للاعتداء ورداً الظلم ونصراً للمظلومين وضماناً لانتشار دين الرحمة والسلام، إنه دين الرحمة والعدالة ورسالة الشمول والتوازن التي لا يمكن للعالم أن يشفى من أدوائه إلا به.

المطلب الرابع : في بيان المقصود بقوله تعالى : ﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ ﴾

لقد حث الإسلام على الإنفاق في سبيل الله تعالى، وذكره في هذه الآية بالذات التي فيها الأمر بإعداد العدة الحربية دلالة على أن الإنقاق للإعداد الحربي نوع من الجهاد

---

٣٩ – أخرجه البخارى فى كتاب الفتن (٦٦٦١) ومسلم فى البر والصلة والآداب (٢٦١٧).

٤٠ – العسقلاني : أحمد بن علي بن حجر، فتح البارى شرح صحيح البخاري الناشر دار المعرفة بيروت ١٣٧٩هـ، ١٣ / ٢٥ باختصار.

في سبيل الله تعالى، بل وجعل للذي ينفق المال في هذا المجال ما للمجاهد الغازي من الفضل والمثوبة، وكذلك للذي ينفق على أسرة الغازى ثواب من يغزو؛ فقد أخرج مسلم في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من جهّز غازياً في سبيل الله فقد غزا، ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا" [٤١], وتعلم صناعة الأسلحة جهاد في سبيل الله تعالى, وإطعام المجاهدين وخدمتهم جهاد, وكل بذل للمال في أي غرض من أغراض الجهاد جهاد : ﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ ﴾.

يقول الشيخ المراغي : وفي هذا إيحاء إلي أن إعداد المستطاع من القوة الحربية والمرابطة في سبيل الله تعالى لا يمكن تحقيقها إلا بإنفاق الكثير من المال، ومن ثمّ رغب سبحانه عباده المؤمنين في الإنفاق في سبيله ووعدهم بأن كل ما ينفقون فيه يوفّ إليهم.[٤٢]

وقد بين سبحانه أنه ما ينفق مسلم نفقة في سبيل الله تعالى صغيرة ولا كبيرة إلا كتب الله تعالى له أجرها, فقال عز من قائل : ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلّفُوا عَنْ رَسُولِ اللّهِ وَلاَ يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوّ نَيْلاً إِلاّ كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ. وَلاَ يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً وَلاَ يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلاّ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٤٣]

فلا ينفق الغزاة أو غيرهم نفقة في سبيل الهق تعالى قليلة أو كثيرة ولا يقطعون وادياً في سيرهم إلى الأعداء إلا كتب الله لهم ذلك، يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى :

---

٤١ – رواه مسلم في كتاب الإمارة باب : فضل إعانة الغازى في سبيل الله بمركوب وغيره وخلافته في أهله بخير ١٣ / ٣٩–٤٠ بشرح النووي.

٤٢ – المراغي : أحمد مصطفى، تفسير المراغي, ط مصطفى الحلبي, القاهرة، (بدون تاريخ) ١٠ / ٢٦.

٤٣ – سورة التوبة : ١٢٠– ١٢١.

يعاتب تعالى المتخلّفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تَبُوك، من أهل المدينة ومن حولها من أحياء العرب، ورغبتهم بأنفسهم عن مواساته فيما حصل من المشقة، فإنهم نَقَصُوا أنفسهم من الأجر؛ لأنهم ﴿ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ ﴾ وهو : العطش ﴿وَلا نَصَبٌ﴾ وهو : التعب ﴿ وَلا مَخْمَصَةٌ ﴾ وهي : المجاعة ﴿ وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفّارَ ﴾ أي : ينزلون منزلا يُرهبُ عدوهم ﴿ وَلا يَنَالُونَ ﴾ منه ظفرًا وغلبة عليه إلا كتب الله لهم بهذه الأعمال التي ليست داخلة تحت قدرتهم، وإنما هي ناشئة عن أفعالهم، أعمالاً صالحة وثواباً جزيلاً ﴿ إِنّ اللّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ كما قال تعالى: ﴿ إِنّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلا ﴾[٤٤] ﴿ وَلا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً وَلا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

يقول تعالى : ولا ينفق هؤلاء الغزاة في سبيل الله ﴿ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً ﴾ أي: قليلا ولا كثيراً ﴿ وَلا يَقْطَعُونَ وَادِيًا ﴾ أي : في السير إلى الأعداء ﴿إِلا كُتِبَ لَهُمْ﴾ ولم يقل ها هنا "به" لأن هذه أفعال صادرة عنهم؛ ولهذا قال : ﴿ لِيَجْزِيَهُمُ اللّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[٤٥]، وفي حديث البخاري عندما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الخيل وأنها ثلاثة أنواع قال : وأما التي هي له أجر فرجل ربطها في سبيل الله لأهل الإسلام في مرج وروضة فما أكلت من ذلك المرج أو الروضة من شيء إلا كتب له عدد ما أكلت حسنات ولا تقطع طولها فاستنت شرفاً أو شرفين إلا كتب الله له عدد آثارها وأرواثها حسنات ولا مر بها صاحبها على نهر فشربت منه ولا يريد أن يسقيها إلا كتب الله له عدد ما شربت حسنات". [٤٦]

---

٤٤ - سورة الكهف : ٣٠.

٤٥ - ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل الدمشقي، تفسير القرآن العظيم ط دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٤٦ - البخاري، الصحيح كتاب الجهاد باب (٤٨) ط الريان، ومسلم في الزكاة باب إثم مانع الزكاة ٦٦/٧-٦٧ كما أخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجة ومالك في الموطأ والإمام أحمد في المسند، وهذا لفظ مسلم.

وقد حصل لأمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه من إنفاق المال في سبيل الله تعالى والعمل بهذه الآية الحظ الأوفر والنصيب الأكبر، حيث أنفق الأموال الكثيرة في سبيل الله تعالى في غزوة تبوك، فقد روى عبد الله بن الإمام أحمد رحمهما الله تعالى بسنده إلى عبد الرحمن بن حباب السلمي قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فحث على جيش العسرة، فقال عثمان بن عفان رضي الله عنه : عليّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها، ثم حثّ فقال عثمان : عليّ مائة بعير أخرى بأحلاسها وأقتابها، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده هكذا يحركها، وأخرج عبد الصمد : أحد رواة الإسناد يده كالمتعجب : ما على عثمان ما فعل بعد هذا.[٤٧]

وروى أيضاً بسنده إلى عبد الرحمن بن سمرة قال : جاء عثمان إلى النبي صلى الله عليه وسلم بألف دينار في ثوبه حتى جهز النبي صلى الله عليه وسلم جيش العسرة قال : فصبها في حجر النبي صلى الله عليه وسلم, فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقلبها بيده ويقول : ما ضرّ ابن عفان ما عمل بعد اليوم يرددها مراراً.[٤٨]

والغاية من الإنفاق في الجهاد وغيره يجب أن تكون خالصة لله تعالى، لنصرة دينه وإعلاء كلمته، وليس للمنفق أن يتخذ غاية تتعارض مع هذه الغاية، يقول الإمام الشهيد سيد قطب رحمه الله تعالى : وهكذا يجرد الإسلام الجهاد والنفقة في سبيله من كل غاية أرضية ومن كل دافع شخصي ومن كل شعور قومي أو طبقي ليتمحض خالصاً لله (في سبيل الله) لتحقيق كلمة الله، أبتغاء رضوان الله ومن ثمّ ينفي الإسلام من حسابه منذ الوهلة الأولى كل حرب تقوم على أمجاد الأشخاص والدول، وكل حرب تقوم للاستغلال وفتح الأسواق، وكل حرب تقوم للقهر والإذلال، وكل حرب تقوم لتسويد

---

٤٧ – زوائد المسند ٤/ ٧٥ ورواه الترمذي في السنن برقم (٣٧٠٠) من طريق السكن بن المغيرة به وقال الترمذي : "هذا حديث غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث السكن بن المغيرة".

٤٨ – زوائد المسند (٦٣/٥) ورواه الترمذي في السنن برقم (٣٧٠١) من طريق الحسن وقال الترمذي: "هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه".

وطن على وطن، أو قوم على قوم, أو جنس على جنس، أو طبقة على طبقة، ويستبقي نوعاً واحداً من الحركة : حركة الجهاد في سبيل الله، والله سبحانه لا يريد تسويد جنس ولا وطن ولا طبقة ولا قوم ولا فرد ولا شعب؛ إنما يريد أن تسود ألوهيته هي وحدها التي تكفل الخير والبركة والحرية والكرامة للعالمين.أهـ [٤٩].

ومن هنا يظهر لنا أهمية الإعداد القتالي في الإسلام لإرهاب وإخافة أعداء الله تعالى الظاهرين وغيرهم ممن لا نعرفهم , ووجوب تحصيل القوة وبذل غاية الجهد والطاقة في ذلك، كما يدعو الإسلام إلي تعليم وتعلم فنون القتال وفقه الغزو، لا سيما التي تواكب العصر الحديث وكل عصر حسب قوته، وأهمية النفقة في سبيل الله تعالى لإعداد هذه العدة، فما أصاب المسلمين من وهن وضعف سببه ترك الإعداد الحربي الذي أمر الله تعالى به.

المبحث الثاني : التطبيق النبوي للتوجيهات القرآنية في استخدام الأداة العسكرية

كانت تصرفات النبي صلى الله عليه وسلم تطبيقاً عملياً لما جاء به القرآن الكريم من مباديء وأخلاق وقد استعرضنا فيما سبق التوجيهات القرآنية في استخدام القوة العسكرية وعرفنا أنها تكون سبباً مباشراً في تحقيق السلام، ويمكننا أن نستدل على ذلك بإحدى معارك الرسول صلى الله عليه وسلم التي تؤكد ما قلناه من أن الأداة العسكرية الإسلامية تكون سبباً مباشراً في ردع الأعداء، ولنا في معركة فتح مكة المثال والبيان :

(ففي فتح مكة قام الرسول صلى الله عليه وسلم باستعراض لقوة الجيش المسلم أمام زعماء قريش الذين تم أسرهم وعلى رأسهم أبي سفيان، وقد لعب هذا الاستعراض دوراً هاماً في دخول أهل مكة في الإسلام، علاوة على أنه يهدف إلى زرع الخوف

---

٤٩ – قطب : سيد، في ظلال القرآن، ٣ / ١٥٤٤– ١٥٤٥.

والرهبة في قلوب زعمائهم حتى لا يكون هناك قتال, فهي سياسة ردع تجنباً لإراقة الدماء, بل أمر النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد بإيقاف القتال الذي كان قد بدأه عند دخول مكة من المدخل الجنوبي.

ثم ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم بأهل مكة بعد الفتح حيث قال لهم : ماذا تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا وقد عرفوا عفوه وصدقه وتسامحه ورحمته : أخ كريم وابن أخ كريم، فقال لهم صلى الله عليه وسلم : أذهبوا فأنتم الطلقاء.

فقد عجلت كل هذه الأسباب بدخول أهل مكة في الإسلام، وما منعهم من القتال إلا رده الجيش الإسلامي لهم بقوته التي رأوها مرهوبة الجانب عند دخول القوات المسلمة.

ومن هنا كانت معركة فتح مكة تطبيقاً عملياً حقيقياً لسياسة استخدام الأداة العسكرية الإسلامية، كما أنها معركة نموذجية يتضح من خلالها شكل العلاقة بين الأداة العسكرية وإجراءات نشر الدعوة الخاتمة وعرضها على العالمين)[٥٠]

المبحث الثالث : من منهج السلم في الإسلام

وإنك لتعجب عندما تنظر إلى النظم القرآني في إعجازه وبلاغته من سورة الأنفال، حيث يجيىء الحديث عن السلم بعد الحديث عن الأمر بإعداد العدة، وبذل الأموال في سبيل الله تعالى، وفي هذا دلالة على أن السلم لا يقوم إلا على القوة، وأن الذي يقبل السلام لابد وأن يكون قوياً، وفيه دلالة على أن الإسلام دين السلام، ولا يحب الحرب لذاتها وإنما لحماية العقيدة ونشر الدين الحق فقال عز من قائل حكيم : ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ. وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ

---

٥٠ – كمال : مصطفى أحمد، العسكرية في القرآن الكريم، ص٢٠، باختصار وزيادة.

مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ . يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنْ اتَّبَعَكَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ . يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَفْقَهُونَ. الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ. مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[٥١]

والمعنى : وإن مال الأعداء وانقادوا إلى الصلح والاستسلام بوقوع الرهبة في قلوبهم بمشاهدة ما بكم من الاستعداد، فمل إلى موافقتهم وصالحهم وعاهدهم وإن قدرت على محاربتهم لأن الموافقة أدعى إلى الإيمان.[٥٢]

ولا تخف في الصلح مكر الأعداء فإن الله تعالى كافيك ذلك، لأنه سبحانه عليم بأحوالهم فيؤاخذهم ويرد كيدهم في نحورهم، وإن يريدوا بالصلح خداعك لتكفّ عنهم؛ فإن الله كافيك بنصره ومعونته ما تخافه من غدرهم، كما وقع في بدر من تأييده سبحانه لك، وسينصرك إن غدروا بك.

هذا وفي الأيات دليل على أن الذي يبغي السلام لابد وأن يكون قوياً، فإن كان كذلك أرغم عدوه على طلب السلم والمسالمة، وهذا أكبردليل على أن القوة الإسلامية طريق مباشر لتحقيق السلم.

فإن طلب العدو السلم فعلى القائد المسلم أن يقبل السلم ويفوض أمره إلى الله تعالى ولا يخف من إبطانهم المكر والخديعة في جنوحهم إلى السلم، كما نهى

---

٥١ – سورة الأنفال : ٦١-٦٧.

٥٢ – القاسمي : محمد جمال الدين، محاسن التأويل، ط عيسى الحلبي، ٨ / ٣٠٢٧. بدون تاريخ.

الله سبحانه المؤمنين أن يضعفوا أمام أعدائهم فيدعوا إلى المسالمة فإن ذلك يحط من شوكتهم ويُضعِف قوتهم أمام أعدائهم فيحسبوا أنهم طلبوا السلم عن ضعف قال تعالى: ﴿ فَلاَ تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ الأَعْلَوْنَ وَاللّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾[٥٣]

فنهى الله تعالى المؤمنين في هذه الآية عن الدعوة إلى السلم ابتداءً, ولم ينه عن قبوله إذا جنح الأعداء إليه، وذلك في حال قوة المسلمين وخوف العدو منهم, فهو سلم مقيد بكون المسلمين داعين إليه وبكونه عن وهن في حال قوة.

وإذا كان للمسلمين مصلحة في السلم أو كان أخف ضرراً عليهم؛ فلهم طلب السلم إذا احتاجوا إليه، وقد صالح النبي صلى الله عليه وسلم المشركين يوم الحديبية لمصلحة ظهرت فيما بعد.

وقد يطلب الأعداء السلم مكراً وخديعة، ولو قام هذا الظن عند القائد المسلم فينبغي ألا يحول ذلك بينه وبين قبول السلم وقد طلبوه، والله تعالى يكفي أولياءه مكرهم وخداعهم وينصرهم عليهم.

يقول الحافظ ابن كثير:

إن الله تعالى قال لعباده المؤمنين : ﴿ فَلا تَهِنُوا ﴾ أي : لا تضعفوا عن الأعداء، ﴿ وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ ﴾ أي : المهادنة والمسالمة، ووضع القتال بينكم وبين الكفار في حال قوتكم وكثرة عَدَدِكم وعُدَدِكُمْ؛ ولهذا قال : ﴿ فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ ﴾ أي : في حال علوكم على عدوكم، فأما إذا كان الكفار فيهم قوة وكثرة بالنسبة إلى جميع المسلمين، ورأى الإمام في المعاهدة والمهادنة مصلحة، فله أن يفعل ذلك، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صده كفار قريش عن مكة، ودعوه إلى الصلح ووضع الحرب بينهم وبينه عشر سنين، فأجابهم إلى ذلك.

---

٥٣ - سورة محمد : ٣٥.

وقوله : ﴿ وَاللَّهُ مَعَكُمْ ﴾ فيه بشارة عظيمة بالنصر والظفر على الأعداء، ﴿وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾ أي : ولن يحبطها ويبطلها ويسلبكم إياها، بل يوفيكم ثوابها ولا ينقصكم منها شيئا.[٥٤]

المبحث الرابع : عدل الإسلام المطلق في المعاهدات والمصالحات

وتبلغ الرحمة والعدل بالإسلام الذروة العليا حيث يأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يحافظ على العهد الذي يقطعه مع غيره حتى وإن كان المعاهَد كافرا فيجب الوفاء بالعهد معه، لأن الله تعالى لا يحب الخيانة ولا الخائنين.

أما إذا نقض العدو العهد فمن الجائز منابذته بالحرب كما وقع مع كفار مكة حيث نقضوا العهد بمقاتلتهم خزاعة وقد كانت في ذمة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ففاجئهم النبي صلى الله عليه وسلم, وما شعروا به إلا وهو وجيشه بمنطقة (مر الظهران) على مقربة من مكة.

وإذا ظهرت بعض الأمارات والدلائل على أن العدو سوف ينقض العهد فلا تجوز مناجزته بالحرب حتى يعلمهم المسلمون بذلك فالخيانة مرفوضة في الإسلام بكل ألوانها.

ولا يوجد قانون على وجه الأرض فيه هذا العدل والطهر والرقي للحرب في الإسلام الذي جاء به الإسلام، ولنستمع إلي القرآن وهو يقرر ذلك في سورة الأنفال أيضاً قال الله سبحانه : ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لاَ يَتَّقُونَ . فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ . وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْخَائِنِينَ. وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لاَ يُعْجِزُونَ ﴾.[٥٥]

---

٥٤ – ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل الدمشقي، تفسير القرآن العظيم ٧ / ٣٢٣.

٥٥ – سورة الأنفال : ٥٥ – ٥٩.

وفي الآيات إشارة إلى النهي عن نقض العهد وذلك في قوله تعالى : ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ والمعنى : فرّق بقتلهم من خلفهم من المحاربين لك حتى يهابوك ويكفوا عن حربك ويعتبر بهم من سمعهم من الأعداء, فيتعظوا ويعلموا ما نزل بالناقضين العهد فيرتدعون عن النقض، وقوله تعالى : ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ﴾ : بيان لأحكام المشرفين إلى نقض العهد إثر بيان أحكام الناقضين له بالفعل، أى إن ظهرت دلائل على نقضهم العهد أطرح إليهم العهد الذي بينك وبينهم حتى تستوي أنت وهم في ذلك بأن تظهر لهم النقض وتخبرهم إخباراً مكشوفاً بأنك قطعت العهد ولا تباغتهم حتى لا يكون من قبلك شائبة خيانة, لأن الله تعالى لا يحب الخائنين.

حكم معاهدة الكفار :

هذا : وفي الآيات جواز معاهدة الكفار لمصلحة. ووجوب الوفاء بالعهد إذا لم تظهر منهم أمارات الخيانة، كما تدل الآيات على إباحة نقض العهد لمن توقع منهم غائلة غدر ومكر ولابد من إعلامهم بذلك كما قلنا حتى لا ينسب المسلمون إلى الخيانة.

والتاريخ أكبر شاهد على تطبيق المسلمين لهذه الأخلاق السامية للحرب في الإسلام : روى أبوداوود والترمذي أنه كان بين معاوية وبين الروم عهد، وكان يسير نحو بلادهم ليقرب حتى إذا انقضى العهد غزاهم , فجاء رجل على فرس أوبرذون (أى شبهه: والمراد البغل) وهو يقول : الله أكبر، الله أكبر. وفاء لا غدر فإذا هو عمرو بن عبسة — رضي الله تعالى عنه – فأرسل إليه معاوية فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقدة ولا يحلها حتى ينقضي أمدها أو ينبذ إليهم على سواء، فرجع معاوية.[٥٦]

---

٥٦ – أبو داوود : سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب الجهاد باب في الإمام يكون بينه وبين العدو عهد فيسير إليه برقم (٢٧٥٩) ط دار الريان (١٩٩٠), ٣ / ٨٣، والترمذي : محمد بن عيس بن سورة السنن كتاب السير باب ما جاء في الغدر ٤ / ١٤٣ وقال : هذا حديث حسن صحيح.

وروى الإمام أحمد رحمه الله تعالى عن سلمان الفارسي رضي الله عنه أنه انتهى إلى حصن أو مدينة فقال لأصحابه : دعوني أدعوهم كما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوهم، فقال : إنما كنت رجلاً منكم فهداني الله عز وجل للإسلام، فإن أسلمتم فلكم ما لنا وعليكم ما علينا، وإن أنتم أبيتم فأدوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون، وإن أنتم أبيتم نابذناكم على سواء، إن الله لا يحب الخائنين، يفعل بهم ذلك ثلاثة أيام، فلما كان اليوم الرابع غدا الناس إليها ففتحوها.[٥٧]

ثم هون الله تعالى على المؤمنين أمر الكفار بقوله : ﴿ وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لاَ يُعْجِزُونَ ﴾، فتبييتهم الغدر والخيانة لن يمنحهم فرصة السبق، لأن الله تعالى لن يترك المسلمين نهباً لأعدائهم ولن يفلت الخائنين لخيانتهم، والذين كفروا أضعف من أن يعجزوا الله تعالى حين يطلبهم وأضعف من أن يعجزوا المسلمين والله ناصرهم.

(فليطمئن أصحاب الوسائل النظيفة متى أخلصوا فيها لله تعالى من أن يسبقهم أصحاب الوسائل الخسيسة، فإنما هم منصورون بالله الذي يحققون سنته في الأرض ويعلون كلمته في الناس وينطلقون باسمه ويجاهدون ليخرجوا الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده لا شريك له).[٥٨]

وبهذه السياسة الراشدة وتلك الأخلاق الحميدة العالية يحقق الإسلام العدل ويدعو إلى السلام وكله من خيرات إعداد العدة الحربية التي أمر الله تعالى بها، فلا يقدم الأعداء على نقض العهد أو الخيانة إذا عرفوا أن القوة العسكرية الإسلامية ستردعهم وتخيف غيرهم ممن يريدون نقض العهد، وفي هذا من الدعوة إلى السلام ما فيه، فيا ليت قومي يفقهون.

---

٥٧ – الشيباني : أحمد بن حنبل، المسند، ٥ / ٤٤٠.

٥٨ – قطب : سيد، في ظلال القرآن، ١٠ / ١٥٤٣.

المبحث الخامس : العسكرية الإسلامية : خصائص ومباديء وأخلاق

لقد حظيت العسكرية الإسلامية منذ تكوينها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم بالخصائص والمباديء التي لم تحظ بها أي قوة عسكرية على وجه البسيطة عبر التاريخ البشري كله، وقد حققت بما تميزت به من حق وعدل ومراعاة للأخلاق العالية والرقي في التعامل مع الآخرين ما جعلها مضرب المثل على مر العصور إلى يوم القيامة، والتاريخ يشهد على ذلك، فضلاً عن كون الجيش العسكري الإسلامي يتصف بالقوة الكبيرة ولكن ذلك لا يجعله يخرج عن قانون الجهاد في الإسلام الذي يتصف بسلامة النية وسمو القصد ووضوح الهدف، وابتغاء مرضاة الله تعالى.

وحينما يصبح النشاط القتالي غايته ابتغاء مرضاة الله تعالى فإنه يتحرك داخل إطار من الانسجام والتناسق وهذا ما قرره القرآن الحكيم : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾[٥٩]

ولا شك أن ارتباط النشاط العسكري الإسلامي بمفهوم الجهاد في سبيل الله تعالى قد زاده شرفاً وتعظيماً وها هو القرآن يقول : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاَءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[٦٠]

زد على ذلك الدور المحدد للأداة العسكرية الإسلامية وهي حماية المكلفين بعرض الدعوة الإسلامية بعيداً عن أي ظلم أو اعتداء أو إكراه على الدخول في الإسلام: ﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[٦١]، وقال عز وجل أيضاً : ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾[٦٢]

---

٥٩ – سورة النحل : ١٢٥.

٦٠ – سورة الأنفال : ١٧.

٦١ – سورة البقرة : ٢٥٦.

٦٢ – سورة البقرة : ١٩٠.

ولا شك أن هذه الخصائص التي تميزت بها العسكرية الإسلامية كان لها أكبر الأثر في تحقيق السلام ودخول الناس في دين الله أفواجاً كما حدث في فتح مكة، وفي مصر أيضاً فقد ساعد أقباط مصر القائد المسلم عمرو بن العاص على دخول مصر حيث كان الأقباط يتعرضون لظلم فظيع مذهبي من قِبل الرومان المسيحيين وهذا التصرف من أقباط مصر طبيعي ومنطقي لأنهم كانوا يأملون أن يجدوا الخلاص على يد العادل عمرو بن العاص.

وقد كان لطريقة عمرو بن العاص رضي الله عنه في عرض الإسلام على أقباط مصر الأثر الأكبر في اعتناقهم الإسلام وهو عرض يخلو من أي إكراه أو إجبار أو ظلم أو طغيان.

أضف إلى ذلك نظرة واقعية على مساحة الدولة الإسلامية عند وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وانتقاله إلى الرفيق الأعلى فقد كانت مساحة الدولة الإسلامية آنئذٍ قرب المليون ميل مربع وعمر الدولة الإسلامية بضع سنين ومعنى ذلك أن معدل التوسع اليومي للدعوة الإسلامية أقترب من ثلاثمائة ميل في اليوم الواحد وهذا معناه أن صدق وسلامة الدعوة واستشعار المدعوين لنورانية الرسالة وأنها حق من عند الله تعالى، ثم سلامة وصحة الأداة العسكرية التي كانت تقوم بحماية الدعوة والتعامل مع من يقوم بمحاولة اعتراض عرض الدعوة، هذا ما كان في بواكير الدولة الفتية في عصر النبوة.

ثم انظر إلى مساحة الدولة الإسلامية عند وفاة الخليفة الراشد الثاني الفاروق عمر رضي الله عنه : فقد واجهت الدعوة كثافة سكانية كبيرة عالية لأعظم امبراطوريتين في العالم في ذلك الوقت وهما : الأمبراطورية الفارسية، والأمبراطورية الرومانية وبالتالي تعاملت الأداة العسكرية مع الجيوش الفارسية والرومانية على مستوىً عال من التدريب القتالي. وهذا أكبر دليل على أن الأداة العسكرية الإسلامية كانت تعمل في إطار صحيح

وسليم من المبادىء والأسس العسكرية وهي بذلك لها شرف السبق بوضع تلك الأسس والمبادىء.

خصائص العسكرية الإسلامية :

ومن خلال عرضنا للخصائص التي تتميز بها العسكرية الإسلامية : يمكننا القول بأن تلك الخصائص استمدت من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وهي :

١ – أنها الوحيدة على وجه الأرض التي حظيت بدعم الوحي وتأييد الله تعالى وإمداده لها بالملائكة.

٢ – أنها جزء من مفهوم الجهاد في الإسلام وهذا كان سبباً في رقي العمل القتالي وبعده عن الغطرسة والعنف ووصوله إلى سمو الغرض وسلامة القصد وإخلاص النية لله تعالى.

٣ – أن العسكرية الإسلامية تمارس تنفيذ مهامها المكلفة بها لحماية الدعوة وتأمينها لا للاعتداء والتوسع على حساب الآخرين, بل لنشر الدين وإقامة حكم الله تعالى في الأرض.

٤ – أن العسكرية الإسلامية كان لها شرف السبق في وضع أسس العلم العسكري الحديث ونتائج العسكرية الإسلامية خير شاهد على ذلك.[٦٣]

من مبادىء وأخلاقيات القتال في الإسلام :

الإسلام نظام شامل لحياة الناس في جميع الجوانب، والجهاد الإسلامي جزء من مبادىء الإسلام السامية وأخلاقه العالية وأسسه القوية التي بني عليها.

---

٦٣ – كمال : مصطفى أحمد، العسكرية في القرآن الكريم، ص٢٦ بتصرف وزيادة.

وقد جاء القتال في الإسلام كما قلنا لنشر الدعوة وتأمين المدعوين ولتحقيق السلام والعدل والحق والخير للبشرية جمعاء، ولن يعرف التاريخ ما عرفه على مر العصور من تميز القتال في الإسلام بالأخلاق السامية والمبادىء النظيفة العالية والرقي والتمدن والحضارة والبعد عن الظلم والغطرسة، وقد وضع القرآن مجموعة من المباديء والأخلاقيات للقتال في الإسلام سواء في زمن السلم أو الحرب، وهي أخلاقيات ومباديء تتسم بالشمول والتكامل بمعنى أنها حافظت تماماً على كرامة الإنسان بحق, وهذا جزء من التكريم للإنسان الذي وضع أسسه الكريم في آياته البينات.

(ومن القيم والمباديء التي جاءت في القرآن الكريم للقتال في الإسلام :

أولاً : عدم الاعتداء ابتداءً ورد العدوان بالمثل : فالقرآن قد فرق بين القتال والاعتداء, فالقتال عمل مشروع لنشر الدين ومحاربة الظالمين ودفاعاً عن العقيدة وحماية للدعو : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنْ انتَهَوْا فَلاَ عُدْوَانَ إِلاّ عَلَى الظّالِمِينَ ﴾[٦٤]

أما الاعتداء فواضح المعنى وهو مرفوض في الإسلام، فإذا تعرض المجتمع الإسلامي للاعتداء من قِبل الغير فيجب الرد : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ الّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾[٦٥]

ثانياً : إعلام العدو بنقض العهد وابتداء القتال عند الخوف من ذلك من العدو: وهذا أحد القيم والأخلاق الحميدة التي جاء بها الإسلام وهي تدل على مدى احترام الإسلام للنفس الإنسانية : ﴿ وَإِمّا تَخَافَنّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ وقد سبق شرح ذلك فيما مضى عند الحديث عن منهج السلم في الإسلام ضمن الحديث عن عدل الإسلام في المعاهدات والمصالحات.

---

٦٤ - سورة البقرة : ١٩٣.

٦٥ - سورة البقرة : ١٩٠.

ثالثاً : حفظ حق المستأمن وغير المحارب في الأمن : وهذا ما قرره القرآن الكريم؛ قال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾[٦٦] . وهذا تسامح من الإسلام مع المستأمنين والذين لا يحملون السلاح حتى يمكن القول بأن القرآن قد ساوى بين معاملة المسلم وغير المسلم على أمل أن يكون الإسلام هو نهاية مطاف غير المسلم, إنها سياسة الدعوة بالحسنى، حتى يجد غير المسلم الأمن واقعاً ملموساً فيهتدي إلى الحق الذي رآه ولمسه.

رابعاً : المعاملة الحسنة للأسرى : فقد أوصى الإسلام بحسن معاملة الأسرى واعتبر إطعامهم والإحسان إليهم من الأمور التي تقرب العبد من الله تعالى قال عز وجل : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطّعَامَ عَلَى حُبّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾[٦٧] وحسبنا أن نقف على المعاملة الطيبة للاسرى من المشركين عقيب غزوة بدر مما جعل ذلك مضرب المثل على مر العصور.

خامساً : الرفق وعدم القسوة عند التمكين : وهذه من أروع القيم الإسلامية التي يجب مراعاتها عند القتال, خاصة عند التمكن ممن أساء إليك، فلا قسوة ولا اعتداء ولا شماتة وتأمل موقف القرآن من قول النبي صلى الله عليه وسلم عندما مثّل المشركون بأسد الله وأسد رسوله حمزة رضي الله عنه بعد استشهاده في غزوة أحد قال صلى الله عليه وسلم وهو مغتاظ من هذا الموقف العصيب : لأن أظفرني الله بهم لأمثلنّ بسبعين منهم، فنزل القرآن بهذه القيم وتلك المباديء : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصّابِرِينَ ﴾[٦٨]

---

٦٦ – سورة التوبة : ٦.

٦٧ – سورة الإنسان : ٨.

٦٨ – سورة النحل : ١٢٦.

وما فعله النبي صلى الله عليه وسلم مع المشركين يوم فتح مكة شرفها الله من العفو عنهم بعد التمكن منهم وقد أظفره الله بهم حيث قال لهم : أذهبوا فأنتم الطلقاء" مما كان له أكبر الأثر في دخول أكثرهم في دين الله أفواجاً.)[٦٩]

ولو ذهبنا نسترسل في ذكر معارك الإسلام وما كان فيها من أخلاقات عالية ومباديء شريفة سامية لطال بنا المقام جداً, وفيما ذكرناه تذكرة.

---

٦٩ - كمال : مصطفى أحمد، العسكرية في القرآن الكريم ص٢٨ - ٣٠ بتصرف واختصار وزيادة.

الخاتمـــــــة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله وبعد :

فها هو القرآن والسنة كما رأينا يأمر بإعداد القوة الحربية التي تكون طريقاً لتحقيق السلام والعدل في العصر الحديث وهي قوة تتسم بالحق ونشر السلام وليست للغطرسة وفرض الآراء أو المعتقدات على الغير فالإسلام لا يكره أحد على الدخول فيه كما قلنا في ثنايا البحث، ويمكننا في نهاية المطاف استنتاج هذه النتائج :

أولاً : وجوب إعداد القوة الحربية الإسلامية إتقاء بأس العدو وهجومه، وهذا من الجهاد الذي هو ماض في الأمة إلى يوم القيامة، ومن هنا يحرم على الأمة الإسلامية أن تتوقف عن الإعداد والاستعداد للجهاد في أي عصر من العصور.

ثانياً : وهذا الإعداد ليس محصوراً في صورة واحدة بل له صور متعددة فهو يستوعب كل صور الإعداد المادية والمعنوية والفكرية والسياسية والاقتصادية وغيرها فيشمل الإعدادكل الصور المعروفة في الماضي والموجودة في الوقت الحاضر وكذا المجهولة التي ستظهر في المستقبل.

ثالثاً : وهذا الإعداد للقوة الحربية الإسلامية يحمل في طياته دعوة ضمنية أو غير مباشرة للسلام، فالقوة العسكرية الإسلامية ليست للظلم والطغيان والاستداد، وإنما لتحقيق الحق وتأمين الدعوة ونشر السلام والعدل في ربوع العالم كله.

رابعاً : إن مصطلح الإرهاب بمعنى القتل العشوائى والتدمير والتخريب وترويع الآمنين لا مكان له فى الإسلام, كما يدعى المغرضون من أعداء الإسلام، فما كان الإسلام فى أى عصر من العصور ولن يكون دين الإرهاب لا بالممارسة ولا بالدعوة إليه، ولا بالتأصيل له فى الأصلين الشريفين : القرآن والسنة.

خامساً : الإسلام دين الرحمة وشريعة السلام, يتعامل مع الناس وفق ضوابط وأصول شرعية تحددها العقيدة والفكر المنبثق عنها والتصور الصحيح لمفاهيم الإسلام والقيم التي تحكم حركة المؤمن في الأرض يحارب، إنه دين الرحمة والعدالة ورسالة الشمول والتوازن التي لا يمكن العالم أن يشفى من أدوائه إلا به.

سادساً : أن التوجيهات القرآنية في استخدام القوة العسكرية تكون سبباً مباشراً في تحقيق السلام وردع الأعداء, كما وقع في معركة فتح مكة، على ما سبق ذكره في البحث.

سابعاً : جواز قبول الصلح مع العدو إذا دعى الأعداء إليه، وجوازه لمصلحة يراها القائد المسلم فقد صالح النبي صلى الله عليه وسلم المشركين لصالح الدعوة كما عرفنا.

ثامناً : أتسمت الحروب الإسلامية على مر التاريخ بالحق والعدل والسلام والمباديء السامية على نحو لا تظفر به في أي حرب إلى يوم القيامة.

تاسعاً : ما أصاب المسلمين الآن من وهن وضعف وتخاذل وتمكن العدو منهم سببه ترك إعداد القوة العسكرية الإسلامية التي أمر الله تعالى بها, لأنها الطريق إلى احترام الآخرين لهم وتحقيق العزة والكرامة والذب عن بيضة الإسلام وحفظ الحقوق.

توصيات :

ومن خلال هذا البحث أوصي بتحقيق الجهاد بمعناه الشامل وتربية الأجيال عليه وجعله مادة دراسية يدرسها أبناء المسلمين في المدارس، كما أوصي باتحاد الدول والممالك الإسلامية لتقف صفاً واحداً في وجه أعداء الله تعالى الذين يغتصبون الأرض الإسلامية ويروعون الآمنين وينتهكون الأعراض ولا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة ولا

يردعهم قانون أو دين ويدّعون أنهم حماة الحقوق وناشروا السلام، فلا يجدي معهم سوى الإعداد الحربي للقوة الإسلامية التي أمر الله بها لوقف الغطرسة وتحقيق العدل والسلام في ربوع الأرض كلها.

وبعد :

فلعل البحث بهذه الصورة حقق الهدف المقصود منه، ووفّى بالغرض، فإن كان كذلك فهذا من فضل الله تعالى ومنّه وتوفيقه وإعانته، وإن كانت الأخرى فحسبي سلامة القصد وحسن النية وصدق التوجه لأن الكمال لله تعالى وحده وأبرأ من حولي وقوتي إلى حول الله تعالى وقوته فهو سبحانه نعم المولى ونعم النصير : ﴿ لَيُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾[٧٠]

٧٠ – سورة البقرة : ٢٨٦.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم : جل من أنزله سبحانه.
- أبو داوود : سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، دار الريان.
- أبو فارس : محمد عبد القادر، تفسير سورة الأنفال، مكتبة المنار، الأردن.
- ابن حنبل : الإمام أحمد بن محمد، المسند، المكتب الإسلامي، بيروت.
- الأصفهاني : أبو القاسم الحسين الراغب، المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة، بيروت.
- الآلوسي : السيد محمود البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الأندلسي : أبو حيان عبد الله بن يوسف، البحر المحيط، مكتبة النصر، الرياض.
- البخاري : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، دار الريان.
- البغوي : أبو محمد الحسين بن مسعود، شرح السنة، بدون طبعة.
- الترمذي : محمد بن عيسي بن سورة، سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- الدارمي : عبد الله بن عبد الرحمن بن بهرام، سنن الدارمي، دار الكتب العلمية.
- الدمشقي : أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة.
- الرازي : فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين, مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي.
- الشوكاني : محمد بن علي, نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار. بدون.
- قطب : سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق.
- القاسمي : محمد جمال الدين علاّمة الشام، محاسن التأويل، عيسى الحلبي.
- القرطبي : أبوعبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء الثراث العربي.
- القزويني : محمد بن يزيد بن ماجة، سنن ابن ماجة، عيسى الحلبي.
- كمال : مصطفى أحمد، العسكرية في القرآن الكريم، دار الفكر العربي.
- اللويحق : عبد الرحمن، الإرهاب والغلو : دراسة في المصطلحات والمفاهيم، بدون.
- محفوظ : اللواء الركن محمد جمال الدين، العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية، بدون.
- المراغي : أحمد مصطفى شيخ الأزهر، تفسير المراغي، مصطفى الحلبي، القاهرة.

- النسائي : أحمد بن شعيب، السنن، دار المعرفة، بيروت.
- النووي : أبو زكريا يحيى بن شرف، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار الفكر.
- النيسابوري : الإمام مسلم بن الحجاج القشيري، الجامع الصحيح، دار الفكر.